الامير حيـــدر احمد الشهـــابي

وتاريخه

الغرر الحسان في اخبار ابناء الزمان

يُعنى الاديبان الدكتور اسد رستم احد اساتذة التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية ، وفؤاد افرام البستاني استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف ، بتحقيق نصّ تاريخ الامير حيدر الشهابي وطبعه طبعةً علميةً ستظهر قريباً بعنوان « لبنان في عهد الامراء الشهابيين » مؤلفة الحلقة الاولى من منشورات مديرية المعارف التاريخية. وقد بذل الاديبان الجهود الجمّة في درس مخطوطات التاريخ المتعدّدة والتنقيش عن النسخ الراقية الى عهد المؤلف. وعرضا نتيجة ابحاثهما في مقدّمة صدّرا بها القسم الاول من التاريخ المذكور. فرأينا اطلاع القرّاء الكرام على زبدة ذلك آخذين لهذا العدد ما يخصّ الامير المؤرخ ، وللعدد القادم ما يظهر من مزايا تاريخه الكبير ، شاكرين للحكومة اللبنانية عنايتها باظهار ما يُعد من خير الاصول العربية لتاريخ لبنان .

١

مصادر البحث

نأسفُ انـه لم يتصدَّ لترجمة هذا المؤرّخ اللبنـاني ترجمةٌ مفصّلةٌ مطوّلـة أحـدٌ من معاصريه . ونأسف ايضاً ان لا يكون لدينا من المصادر الاوليـة لهذه الغاية سوى هـذا الكتاب الذي نحن بصدده الآن ، وما ورد عن الامير ومؤلّفه في كتاب « الساق على الساق » لاحمـد فارس الشدياق . ولا يخفى ما كان في قلب احمد فارس من الحقد على امراء لبنان ، وعلى الكنيسة المارونية في ذلك العصر . ولذا نرانا مضطرّين ان نتحفّظ التحفّظ التام في قبول شهادته على الامير المؤرّخ.

والنقد التاريخي الحديث يضطرنا ايضاً ان لا نقبل روايات الشعراء المعاصرين الّا اذا توافر لدينا من شهادات غيرهم مـا يزكيها فيعزّز ما بها من حقيقة ، ويزيل عنهـا صبغتها الشعرية الخيالية من حيث التطرّف في المدح ، والافراط في الاطنـاب ، والاقتصار على ذلك في غالب الاحيان.

هذا وقد ورد شيء عن الأمير حيدر في المجلد العاشر من «دائرة المعارف»

العربية للبستاني . الّا اننا نعتقد انـه ليس للمعلم بطرس البستاني ، صاحب الدائرة ، بل لشاكر شقير ، معاونـه في العمل . وذلك بدليل مـا نقله الينا الاستاذ العلّامـة عيسى افندي اسكندر المعلوف من انه رأى بيد شاكر شقير مسودة المقال ذاته ، وان شاكرًا المذكور نسب هذا المقال لنفسه[1] . ولا يخفى ان المعلم بطرس البستاني توفي قبـل اكمال المجلد السابع من دائرتـه ، وان اولاده تولوا العمل بعده واكملوا المشروع الى نهـاية المجلد الحادي عشر[2] . ثم ورد شيء عن مؤرّخنا ايضاً في تاريخ الرهبانية الانطونية المارونية ، وهو للاب عمانوئيل البعبداتي الذى توفي منذ عهد قريب .

فترانا الان مرغمين على الاكتفاء بهذه الروايات المتقطعة الضئيلة ، محاولين الى حدّ ما ازالة هذا الاضطراب من بعضها ، حتى نتمكن من نسجها وتقديمها للجمهور بصورة كاملة .

ونحن ، وان جرحنا بعض هـذه الشهادات ، لا يفوتنا في الوقت ذاته أنّ ما ورد في كتاب الامير من الاشارة الى نفسه هو على جانب من الاهمية ، اذ انه على الاقل كلام المؤلف عن نفسه . وكذلك مـا ورد في كتاب « الساق على الساق » فانه لاحد كتّاب الأمير المؤرّخ ، ان لم نقل لمعاونه في التأليف ، كما اشار الى ذلك جرجي زيدان في مجلة الهلال[3] . ولا يخفى ما لكلام شاكر شقير من الاهميـة ايضاً اذ انـه شويفاتي الاصل قريب من كفرشيما ودير القرقفه ، وقد عرف اليازجي الكبير ، والمعلّم بطرس البستاني وغيرهمـا من معاصري الامير المؤرّخ ومعاونيه . ويقول الاب عمانوئيل البعبداتي في كتابـه المشار اليه آنفاً انه اخـذ ما رواه عن الاب يوسف البعبداتي الذي تقيّد بخدمة الامير الروحية[4] . هذا هو المهم من مصادرنا فلنرجع الآن الى الامير وترجمته .

---

١) تخصص شاكر شقير لجمع المواد العربية لدائرة المعارف البستانية ، ولهذا نرى تحت اسمه ، في بعض كتبه المطبوعة ، هذه العبارة : «المساعد في دائرة المعارف العربية» ، كما حقّق الاستاذ المعلوف .

٢) اطلب تاريخ ظهور هذه الاجزاء على دياجاتها ، وراجع تاريخ سورية للمطران يوسف الدبس ٧ : ٧٣٤–٧٣٥ .

٣) مجلة الهلال ١٠ : ٦٦ ٤) تاريخ الرهبانية الانطونية ، ص ٤٢٢

ترجمة الامير

نسبه ووطنه

هو الامير حيدر ابن الامير احمد ابن الامير حيدر الشهابي الحاكم المشهور[١] وُلِدَ في ٢١ شباط سنة ١٧٦١ (١١٧٤ هـ.) في دير القمر على الارجح ، او في قرية المعاصر التحتا المعروفة اليوم بمعاصر بتدين ، في جوار دير القمر[٢] . وتوفي في دير القرقفه سنة ١٨٣٥ (١٢٥١ هـ.)[٣] . وكان في حياته كثير التنقل في انحاء لبنان تارةً يقيم في دير القمر ، وطوراً يجول في مناطق الشوف والمتن ، اذ كان يكلفه الامير بشير الكبير بعض المهامّ الادارية والحربية ، او يقوم هو نفسه بشؤون سياسية كان من شأنها ، على الغالب ، ان تؤول الى الخير العام واصلاح ذات البين بين الامير ومن كان يغضب عليهم من رجالات البلاد ، كما سيأتي . اما مركزه فكان قرية شملان ، ولا تزال فيها آثار داره . وفي سنيه الاخيرة كان يقضي فصل الشتاء في دير القرقفه في كفرشيما ، حيث كان قد بنى جناحاً خاصاً لسكناه ، على ان يعود للدير بعد وفاته . وهكذا كان.

ابناؤه

رُزق الامير خمسة اولاد ذكور توفوا صغاراً فدفنهم في شملان في قبة بناها لهم لا تزال آثارها ظاهرة الى اليوم ، وهي في اعلى القرية ، بالقرب من طريق العربات . وقد اشار في تاريخه الى ابنة له كان قد خطبها الامير سعد الدين ابن الامير يوسف الشهابي فمنعه الامير بشير الثاني عن الزواج بها ، وزفّها الى ابنه الامير امين[٤] . ويقول بعض العارفين اليوم ان والدة الامير عباس كنج كانت احدى بنات الامير حيدر ايضاً.

---

١) Fleischer, *Über das syrische Fürstenhaus der Banu Schihab.* [Zeitschrift der deutschen Morgenländischen Gesellschaft V, 46-59.]

٢) اطلب في ذلك تاريخ الامير نفسه ، ص ٥٤ من طبعتنا . « والجواب على اقتراح الاحباب » للدكتور ميخائيل مشاقه – مخطوطة جامعة بيروت الاميركية ، ص ٢٥

٣) اخبار الاعيان للشيخ طنوس الشدياق ، ص ٦٣

٤) عيسى اسكندر المعلوف : الامير حيدر الشهابي – في مجلة « الكلية » ١١ : ٢٢٣–٢٢٤

اخلاقه وصفاته

وكان ، على ما يظهر من كلام الشيخ طنوس الشدياق ، ابيض اللون ، جميل الوجه ، طويل القامة ، عبل الجسم[1] . وبشهادة خصمه ، كان « حليماً يحبّ السلم والدعة »[2] . ويقول شاكر شقير انه كان كريماً وقوراً محبوباً من الناس ، ومحباً للفقراء[3] . ويظهر من القسم الاكبر من المصادر انه كان ديّناً تقيّاً متمسكاً بمذهبه الماروني ، محباً للرهبان والاكليروس . فقد ورد في «الساق على الساق» انه نظر يوماً في بعض الكتب هذا البيت وهو :

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها افاويقَ حتى ما تدرُّ لنا ثَمَلُ

« فظنّ انه تعريضٌ بهم وتلميحٌ اليهم ، فأمر باحراقه فأُحرق وذرّي رماده . »

وورد ايضاً في الكتاب نفسه ان الامير رأى يوماً آخر بيتين من الشعر فيهما تعرّض للرهبان ، « فأمر ايضاً باحراق الكتاب ، وبعث جواسيس في البلد يتجسّسون عن مؤلفه ونودي في الروابي والوهاد ألا من دلّ على مؤلف كتاب كذا فانه يجزى احسن الجزآء ، ويرقى الى رتبة سنية . »[4]

ومما نقله الينا الاب عمانوئيل البعبداتي عن معلّم ذمة الامير المؤرّخ ، أن الامير حيدر لم يكن يفتر عن سماع القداس يومياً ؛ وانه كان يسمع القداس الالهي يوماً ما ، ولدى انتهائه يُبدئ بقداس آخر ، فثبت الامير يسمع القداس الثاني . وعند نهايته خرج من الكنيسة ، فاعترضه اميرٌ من اقاربه قائلاً : ألا يكفي قداس واحد ، والكنيسة تأمر باستماع القداس نهار الاحد والعيد الواجبة بطالته ؟ فاجابه الامير بانس ودعة : ان الكنيسة أمرت كما قلتَ لكنها لم تنه عن استماع القدّاس كل يوم مَن كان في امكانه تتميم هذه العبادة . ثم اجابه عن استماعه قداسين بما نصّه : « اذا كنت يا صاح في الصيد ، واتاك رفٌ حجل فاقتنصته ، ثم أتاك رفٌ آخر ألا تقتنصه ؟ فكم احرى اننا

---

١) اخبار الاعيان ، ص ٦٣ . ولعلّ الفارياق اورد كلمة « أُحزُقّة » في وصف الامير حيدر لمجرّد الذم فقط . (الساق على الساق (طبعة اوروبة) ، ص ٢٧)

٢) الساق على الساق ، ص ٢٧ ايضاً .

٣) البستاني : دائرة المعارف ، ج ١٠ : المقال « شهاب : الامير حيدر احمد »

٤) الساق على الساق ، ص ٢٩

نصطاد الكنوز الثمينة بواسطة حضورنا القداس الالهي الذي منه نكتسب كنزًا لا يفنى. »[1]

وقد اشتهر مؤرخنا بإنفاقه على الرهبان ووقفه الاملاك الكثيرة لهم. وهذا أمر تاريخي ثابت بدليل الصكوك الشرعية التي لا تزال محفوظة حتى اليوم في بعض الاديرة اللبنانية كدير السيدة في شملان، ودير مار جرجس الشير في بمكين، ودير مار انطونيوس القرقفه في كفرشيما، ومقرّ البطريركية المارونية في بكركي. وجاء في تاريخ الرهبانية الانطونية المشار اليه آنفًا انه وقف لدير الشير اوقافًا جزيلة من جملتها قنديل كبير من الذهب الخالص، وانه وقف كرم زيتون لاجل مصروف هذا القنديل. ولا يزال رهبان هذا الدير مع رئيسهم العام يكرّرون الترحم عليه حتى الساعة هذه. ومما يثبت تديّنه ويدين تقواه وصيّته الاخيرة، والمفاوضات الاكليريكية التي تبودلت بشأنها والتي لا تزال محفوظة في خزانة البطريركية المارونية الى يومنا هذا. ويظهر من الوصية وتوابعها انه اراد ان يموت في حضن الكنيسة المارونية التي عاش وتربّى في ايمانها، وانه اوصى بان يوزّع عن نفسه مائة وخمسون الف قرش على جميع الطوائف الكاثوليكية شرقية كانت ام غربية.

مواهبه الادارية والسياسية

وكان محبًا للسلام رفيقًا بالجميع. فالمعمّرون من شملان اليوم يقولون ان الشلاحقة قدّموا له شملان جزاء توسّطه في أمرهم ونجاحه في الحصول على عفو الأمير بشير عنهم. وهو الذي شفع للامير عباس، وتوسّل بالامير فاعور والامير أمين علي لدى الامير الكبير. ومما يتّضح من مطالعة تاريخه وكتاب «اخبار الاعيان» للشيخ طنوس الشدياق انه انتُدب مرارًا للاعمال السياسية والادارية والحربية. مثال ذلك انه أرسل سنة ١٧٩٠ الى قرية كفرسلوان لاحراق منازل بني حاطوم[2]. ويقول هو عن نفسه انه لما وُلي مباشرة الشوف سنة ١٧٩٤ أظهر في تلك الظروف الحرجة من الدراية والحكمة ما

---

١) الاب عانوئيل البيداني: تاريخ الرهبانية الانطونية، ص ٤٢٣-٤٣٤

٢) اطلب تاريخه، ص ١٦١ من طبعتنا

استوجب لـه ثناء الجميع ، فقيل : «لو كان غير هـذا الامير في مباشرة الشوف لكان تلاشى واضمحل من افراط الظلم والجرايم لكن الامير المذكور ارقى اناس كثيرين وحفظ عدة مواضع وذلك لهمته الوفيه ومناقبه الحميده.»[1] وقد اشار ايضاً في تاريخه هـذا الى مواقفه الحربية في قب الياس وساحـل بيروت وغيرهمـا . ولما فرَّ الامير بشير اولًا الى عكار ، وثانياً الى حوران ، كان مؤرّخنا برفقته . ولعلَّ شاكِرَ شقير مصيب حين يقول ان الامير المؤرّخ لم يكن له طمع في الجاه ، وانه انتُخب مرارًا للولاية فرفض وآثر بقـاء الامير بشير[2] . وفي زجلية طويلة ، محفوظة لـدى الاستاذ المعلوف ، في حروب الامير بشير ، لابي ابرهيم درويش بن مرعي القاري ، قولهُ :

وبعد هـذا صارت الحركة تزيـد قالوا «ابو سمدى» حاكم لا نريد
تعالوا نتخب لنا حاكم جديـد فنـادوا باسم الامير حيـدر شهاب

هذا ومن يُنتدَب لاعمال ادارية سياسية حربية ، ويُنتخب مرارًا للولاية فيرفض ، يُستبعد ان يكون «على جانب عظيم من التغفّل» ، كمـا يقول احمد فارس في كتابه المشار اليه آنفاً[3] .

بعض ملاهيه – ولعه بالتاريخ

كان الامير حيدر مولعاً بالصيد ومقاتلة الاديك ، وبالتاريخ . فالاستاذ المعلوف يقول ان معمّري شملان وغيرهـا الذين عاصروا الامير حيدر رووا انه كان مولعاً بالصيد متفرّغاً له[4] . وقد حدثنا جرجس بك صفا قال : «اخبرني رستم باز قال : كنت منذ حداثتي مولعاً بتربية الدجاج ومقاتلة الاديك . وكان مولعاً مثلي بهذين الامرين الامير حيدر احمـد الشهابي . فكنت اجلب اديكي من دير القمر الى شملان لاجل مقاتلة اديك الامير . فيوم اربح ويوم اخسر .»

واكبرُ دليل على ولعه بالتاريخ اثره هذا الذي نعنى بنشره الآن وسنقول عنه كلمة في العدد القادم

١) اطلب ذلك في الصفحة ١٧٨ من طبعتنا
٢) البستاني : دائرة المعارف : المقال نفسه
٣) الساق على الساق ، ص ٢٧–٢٨
٤) عيسى اسكندر المعلوف : الامير حيدر احمد الشهابي – في مجلة «الكلية» ١١ : ٢٢٢